العرب
الخميس 2019/09/26
السنة 42 العدد 11479

الفن المنحطّ: تهمة النازيين المفضلة

كتاب يستعيد سوق الفن النازي بالوثائق

النازيون كانوا يريدون امتلاك كل شيء بما في ذلك الفن

يمكن للمهتم بتاريخ الفنّ أن يدخل إلى قاعدة بيانات الفنّ الضائع للبحث عن القطع الفنية التي قام النازيون بمصادرتها أو بيعها في المزادات العلنيّة أثناء اجتياحهم لأوروبا، كجزء من سياسات "أرينة" الفن –نسبة إلى آري–، والتي إثرها تمت مصادرة وبيع كل أملاك اليهود.

عمار المأمون
كاتب سوري

باريس – هناك الكثير من اللوحات والأعمال الفنيّة والمنتجات الثقافيّة في متاحف العالم وصلت إلى هناك بالقوة وبسطوة الاحتلال النازي لفرنسا عام 1940 أو لمصادرة النازيين أملاك اليهود، من بين هذه الأعمال مثلا لوحة "سيدتان في الحديقة" لرينوار، التي أعيدت إلى حفيدة مالكها الأصلي في باريس، بعد أن عرضت في مزاد علنيّ في صالة كريستي الشهيرة في الولايات المتحدة.

الممارسات التي قام بها الاحتلال النازيّ في أوروبا ضد اليهود وخصوصاً العاملين في سوق الفنّ نتعرف عليها في متحف الشوا في باريس، في إطار معرض بعنوان "سوق الفنّ تحت الاحتلال 1940–1944"، والذي صدر عنه أخيرا كتاب يحمل ذات الاسم من تأليف إيمانويل بولاك، وفيه نقرأ المئات من الوثائق الرسميّة ومقالات الصحف التي تعود إلى فترة جمهورية فيشي الفرنسيّة التي تعاونت مع الاحتلال النازي، ونكتشف أيضا الديناميكيّة القانونيّة التي وضعها النازيون من أجل منع اليهود من التواجد في سوق الفن والتي تتجلى مثلاً بمنشورات تمنع دخولهم إلى المعارض، كذلك مُصادرة أملاكهم وبيعها في المزادات العلنيّة. هذه السياسات كلفت فرنسا حينها 15 مليار فرنك من الخسائر، وما زالت في زيادة حتى الآن، لأن الأعمال الفنيّة كانت وما زالت سلعة لا ينخفض ثمنها، ما جعلها استثمارا مغريا تشتريه البنوك وجامعو التحف والمتاحف.

ذوق الدكتاتور

هناك صورة شهيرة لأدولف هتلر تعود إلى عام 1940، نراه فيها في ساحة تروكاديرو المطلة على برج إيفل، هذه الصورة تختزل انتصاره ورغبته في "امتلاك" فرنسا، وخصوصا باريس، محط الكثير من الفنانين من مختلف أنحاء العالم، فهدفه كان تغيير شكلها الثقافيّ و"تنظيفها" حسب قوله، وهذا ما حدث، إذ أوكلت مهمة إدارة "المنتجات الثقافيّة" في فرنسا إلى الـERR، المؤسسة المسؤولة عن البضائع الثقافية في البلدان المحتلّة، وكان أساس عملها مصادرة الأعمال "الساميّة" من ملاكها ومن تجار الفنّ، ثم إخلاء المتاحف من الفنّ "المنحط"، ذاك الذي لا يحمل خصائص "واقعيّة" ولا تتطابق مع ذوق هتلر الذي كان يحتفي بالأعمال "الكبرى"، كلوحة "عالم الفلك" لفير مير، التي قام بنقلها إلى متحفه في "لينز" عام 1940، وأعيدت لاحقا عام 1945 إلى صاحبها.

هذه الإجراءات الاستعماريّة حين اكتشافها، تغيّر علاقة الفرد مع باريس، خصوصا زوار المتاحف، إذ نعرف في الكتاب كيف تم تحويل متحف "جو دو بوم" في العاصمة الفرنسية إلى "مقبرة للشهداء" ووضعت فيه الأعمال التي لا تتوافق مع الأيديولوجيا النازيّة، ليتم فرزها وتصنيفها وإيجاد مشترين لها، والمحزن أن حديقة تولريري الشهيرة في باريس المجاورة للمتحف سابق الذكر، شهدت إحراق أكثر من 400 عمل، منها لوحات لسيزان وبيكاسو وخوان ميرو بسبب "انحطاطها".

تحولت أيضا المعارض الكبرى في باريس كـ"أوتيل درو" إلى فضاءات تشهد مزادات علنيّة لكل ما هو "منحط" وكل ما تعود ملكيّته إلى الـ"ساميين" خصوصا أن منازل اليهود تم اقتحامها وتفريغها مما فيها، وإثر هذه العمليّة انتقلت الكثير من الأعمال إلى المتاحف العالميّة في سويسرا وأميركا وروسيا، والأهم أن الكثير من البنوك الدولية اشترت أعمالاً وخبّأتها في خزناتها السريّة، وإلى الآن لم تظهر كلها للعلن، فحكومة فيشي والمتعاونون معها شاركوا مزادات إجباريّة، للتخلص والربح من هذه القطع الفنيّة.

هامش عن الانحطاط

بعد انتهاء الاحتلال النازيّ أنشئت في فرنسا عام 1944 لجنة لاستعادة المسروقات والغنائم النازيّة وجردها وتتبع مسارها، وتمكنت بحلول عام 1949 من استعادة حوالي 2000 قطعة ولوحة، منها لأنغر وسيزان، واستمرت هذه الجهود لحين استعادة حوالي الـ60 ألف قطعة من أصل 100 ألف. وبالرغم من الملاحظات الكثيرة على هذه اللجنة وتقصيرها في الكثير من النواحي إلا أن عملها مستمر حتى الآن، وخصوصا بعد عام 1995، حين أعلن جاك شيراك مسؤولية فرنسا عن ترحيل اليهود والمساهمة في قتلهم، والدور الذي على فرنسا أن تؤديه لاستعادة تراثها الوطنيّ والتكفير عن ذنبها إثر مشاركتها في عمليات القتل الممنهج لليهود ومصادرة أملاكهم ليكون الأمر جزءا من سياسة وطنيّة لتحقيق العدالة للضحايا.

كتاب يقدم مئات الوثائق والمقالات حول الاعتداءات على الفن فترة حكومة فيشي الفرنسيّة المتعاونة مع النازيين

تبنى سوريالية مصر مصطلح "الفنّ المنحط"، وأطلق جورج حنين على البيان الشهير الذي أطلقه ذات الاسم، ويقال إن هذا الوصف مرتبط بعدم تمكن هتلر من دخول أكاديميّة الفنّ، ما أدى إلى كراهيته للفن الحديث، فكلما كانت اللوحة أقرب إلى الصورة الفوتوغرافيّة، اعتبرت ملائمة لذوق الطاغيّة، أما كل ما لم يتمكن من فهمه، فكان يحكم عليه بأنه "منحط"، كما أشرف شخصياً على إنشاء متحف في "لينز" ليكون الأكبر في أوروبا ويحوي أرقى الأعمال الفنيّة.

رأى أيضاً أن الفن "الحديث" يشكّل تهديدا للثقافة الألمانيّة، كونه يحمل خصائص "يهوديّة وبلشفيّة" بل واتهم الفنانين الحداثيين بأنهم مصابون بأمراض عقلية "غريبة"، لأن أعمالهم لا ترتقي إلى تلك "البطوليّة"، فالألوان الانطباعية والأحلام السوريالية والخطوط التكعيبيّة، كلها منحطة، ولا بدّ من القضاء عليها، وكأنها علامات على خلل في العالم.

مسرحيات قصيرة في كلباء

الشارقة – تنطلق مساء اليوم الخميس فعاليات الدورة الثامنة من "مهرجان المسرحيات القصيرة"، الذي تنظمه إدارة المسرح بدائرة الثقافة، ويحتضن أنشطته المركز الثقافي لمدينة كلباء التابعة لإمارة الشارقة الإماراتية.

وتتنافس 10 عروض في الدورة الجديدة من المهرجان، الذي يعنى باحتضان واكتشاف وإبراز المواهب المسرحية، وتأهلت العروض العشرة للتسابق على جوائز المهرجان، بعد منافسة تمهيدية شهدت مشاركة 19 عرضا، وتم اختيار العروض المتأهلة بعد تقييمها فنيا بواسطة لجنة محكمة، ضمت الفنانين إبراهيم القحومي من الإمارات، وأمل حويجة من سوريا، ويوسف البحري من تونس.

والعروض هي "أرحمني شكسبير" وهو نص أعد عن نصين لشكسبير ويخرجه محمد جمعة علي، ثم "منظر طبيعي" هارولد بنتر وإخراج خالد الفقاعي، و"في انتظار غودو" لصموئيل بيكت ومن إخراج راشد دحنون، و"مدن من رماد" هارولد بنتر ومن إخراج يوسف القصاب، و"مأساة الحجاج" المعد عن نصين لصلاح عبدالصبور وفاروق جويدة، وهو من إعداد وإخراج رامي مجدي، و"صائد طيور الجحيم"، إخراج شعبان سبيت.

وتتنافس العروض على جملة من الجوائز الموجهة لفنيات العرض المسرحي كـ"الإخراج" و"التمثيل" و"السينوغرافيا"، وتعاينها لجنة تحكيم تضم من الإمارات محمد إسحاق، ومن تونس وفاء طبوبي، ومن المغرب بوسلهام الضعيف، ومن الكويت الدكتور عبدالله العابر، ومن الأردن حكيم حرب.

وينظم المهرجان، الذي يختتم في 30 سبتمبر الجاري، ندوات نقدية يومية تقرأ العروض المقدمة في مضامينها وأساليبها، كما ستتاح للجمهور المشاركة في الحكم على مستوياتها الفنية عبر "الجائزة اليومية لأفضل ممثل من اختيار الجمهور".

كما يستضيف المهرجان يوم 30 سبتمبر الجاري، دورة سابعة من "ملتقى الشارقة للبحث المسرحي" المكرس لاستعراض وإبراز أحدث الرسائل العلمية المنجزة في كليات الدراسات العليا المختصة في المجال المسرحي، ويشهد الملتقى مشاركة ثلاثة باحثين حازوا شهادة الدكتوراه في المسرح، مؤخرا، وهم: بوسلهام الضعيف من المغرب وسيف الفرشيشي من تونس، وشريف صالح من مصر.

ودعت إدارة المهرجان العديد من المسرحيين العرب لمشاركتها احتفالها بهذه الدفعة الجديدة من خريجي المهرجان، ومن بين الضيوف محمد مرسي، وإبراهيم الفرن، وحازم شبل، وإسلام إمام، ورامي عبدالرزاق، ونورا أنور من مصر، ولمى طيارة ونانسي خوري من سوريا، ولبنى المستور وإدريس الذهب وبوشعيب السماك من المغرب، والخير شوار من الجزائر، وعاصم بلتهامي من تونس، وبشار علاوي من العراق وغيرهم.

مهرجان
كلباء للمسرحيات القصيرة

10 عروض مسرحية تتنافس فيما بينها على جوائز مهرجان كلباء للمسرحيات القصيرة في دورته الثامنة

عندما يكون حب الكتب مرضا طفوليا

وارد بدر السالم
كاتب عراقي

أعرف وتعرفون نمطاً من القرّاء المهووسين بجمع وشراء واقتناء الكتب الأدبية إلى الحد المَرَضي، حتى تتكدس الكتب فوق بعضها وتملأ الجوارير والخزانات بشكل مبالغ فيه. وهذا النوع في أغلب الأحيان غير قارئ. بل هو نوع من الهواية الغريبة التي يلجأ أصحابها إلى متابعة أسواق الكتب وشراء كل جديد وقديم ونادر وحتى متكرر الطبعات.

يفسر النفسيون على أن هذا الولع منشؤه طفولي. ولا يضر صاحبه بل ينشّط فيه طاقة إيجابية للاطلاع والفضول والاستحواذ على المعرفة بشكل عشوائي. لذا نرى مثل هؤلاء ذوي طبيعة خاصة في معرفة الكتاب وسنة طباعته وعدد طبعاته ونوع الورق ورائحته ولديهم إحساس غريب بفكرته. كما أنّ لديهم استعداداً على الصرف المالي غير المحدود للشراء مهما كان الثمن لأي إصدار جديد أو مخطوطة نادرة أو مرجع قديم.

وحتى مع شيوع الإلكترونيات الثقافية والأقراص المدمجة وكتب الـ PDF المجانية. ومع توفر المصادر الأدبية والعلمية والتاريخية والمعرفية والجمالية على نطاق واسع عبر شبكات السوشيال ميديا والمواقع المتعددة، إلا أن كثيراً من المهووسين بشراء الكتب الورقية إلى الحد المَرَضي ما يزالون يبحثون في أسواق الكتب عن الجديد والقديم منها. وسنجد مثل هؤلاء الدائبين على الشراء والاقتناء يمثلون وجهاً من وجوه الجنون الكتبي الذي فسّره الطب النفسي على أنه وسواس قهري طفولي وقد يتحول إلى إجرام تحت تسمية "السرقة" التي يلجأ إليها هؤلاء لعدم القدرة على الشراء في كثير من الأحيان.

مثال ظريف في رواية "الكتب التي التهمت والدي" للبرتغالي أفونسو كروش، يسرد فيها سَريان ولع القراءة لدى بونفين وابنه الياس الذي يحكي قصة والده وهوسه بالكتب. هذا الهوس يرثه عن والده ليعيش حياته مع أكداس الكتب حتى بلغ من العمر شوطاً طويلا وهو يبحث في الماضي والحاضر عبر الروايات تحديداً حتى استطاع أن يفسر هوس والده بهذا الجنون الكتبي عندما انتقلت إليه هذه العدوى.

كتبنا تملأ الأدراج والصناديق والكارتونات. تعلو مثل التلال يوماً بعد آخر. وكثير من الزوجات والأهالي يشكون من هذه الكثرة الكاثرة التي تأخذ مساحات غير قليلة من الغرف وصالات الاستقبال بالرفوف المتساوية وغير المتساوية وهي تشيع الفوضى وتلم الأتربة والعناكب والحشرات الصغيرة. ولهذا من الطبيعي جداً أن يهتم الأدباء والمثقفون بمكتباتهم وتغذيتها بكل ما هو جديد ومهم في شتى الأجناس الأدبية والعلمية.

لكن ما يلفت الأنظار هو المجموعات الممسوسة بهوس الشراء على حساب غذائها وملابسها واحتياجاتها الشخصية والبيتية بشكل أكبر من طاقة القراءة نفسها، ومجنونو الكتب المجهولون الذين يقفزون على القراءة الموجهة إلى التكديس العشوائي، حتى لو لم يقرأوا. فالقراءة تابعة لظروفها الشخصية لكن الاقتناء لا بد منه. وهذا ما يسمى علمياً بالببلومانيا كوسواس قهري أو مرض طفولي يلجأ فيه هؤلاء إلى تجميع أعداد كبيرة من الكتب الأدبية والثقافية حتى من دون قراءة. فتراهم مثل القطط في المكتبات والمعارض والأسواق المتخصصة في البيع والشراء. يلتقطون القديم والجديد بسعادة وحماسة بالغتين، حتى لو تكرر الأمر بشراء نفس العنوان لأكثر من طبعة تعبيراً عن وَلع غير محدود بحب الكتاب واقتنائه وتكديسه.

معظم المهووسين بشراء الكتب هم من المجهولين والبسطاء ورغم ذلك يطلق على هذه الهواية اسم «مرض العباقرة»

الأمر لا يخص الناس العاديين غير المعروفين فحسب. لكنه أيضاً يطال بعض المشاهير المصابين بهذا المرض الغريب، كالشاعر اليوناني يوربيدس الذي يُعد تاريخياً أول المهووسين بهذا المرض العبقري. يليه من العرب العالم ابن المُلقّن/ ابن النحوي/ وهو من علماء العرب الأوائل، جُنّ عندما فقد كتبه ومكتبته في ظروف غامضة، وما تذكره المصادر عن بعض المشاهير كالسير توماس فيليبس الذي اشترى واقتنى ما يعادل 160 ألف مخطوطة وكتاباً، وغيره من المشاهير المبتلين بهذه البلوى العظيمة.

وربما على هذا الأساس أطلق على هذا المرض اسم مرض العباقرة. وهي تسمية غير مكتملة برأينا. فمعظم المهووسين بهذه الهواية هم من المجهولين والبسطاء وليسوا من العباقرة والمشاهير الأدبيين والعلميين. والأمثلة القليلة الواردة من يوربيدس وغيره لا تكفي لإطلاق هذه الصفة على أنها مرض العباقرة. إنه حالة من حالات الولع المفرط والمبالغ فيه، وهو وسواس قهري بالاستحواذ الإيجابي وليس مرضاً نفسياً كما يمكن للبعض أن يفسره. فحب الكتاب إلى هذه الدرجة الحساسة وربما الشاذة أمرٌ شخصي وليس عاماً.

مثل هذا الإنفاق المالي غير المحدود تقف وراءه شخصيات متطرفة وأنانية كتبياً. صعبة المراس على الأغلب الأعم في هذا الجانب. وتبدو متجهمة من الخارج، لكنها سعيدة من الداخل. وهي سعادة قديمة تتحقق مع المخطوطة النادرة والكتاب الجديد مهما كان عدد طبعاته.

يلتحق بهؤلاء المرضى الايجابيين أمناء المكتبات الذين يُعدّون قريبين من هذا التشخيص لارتباطهم اليومي بالورق والكتب والمؤلفات والمخطوطات، وقدرتهم المعروفة في حفظ أسماء المؤلفات وأمكنتها على الأرفف المزدحمة بالمؤلفات، بما يشكّل لديهم وسواساً قهرياً في المتابعة الحثيثة لعالم الكتب ومصادره المتعددة.

يجمعون الكتب ويرصفونها كالصناديق (لوحة للفنان محمد خياطة)